Femininity and masculinity at Al-Ghathami. Read on cultural criticism

Dr. Fakher Mayya [*]
Dr. Wael Dayoub [**]
Haiham Al-Sadian [***]

(Received 4 / 5 / 2020. Accepted 6 / 9 / 2020)

□ ABSTRACT □

This research is based on deconstructing the mechanism of the hidden system of term, in its analytical applications on the two modes (virility / femininity) in Al-Ghathami's cultural criticism. In order to reveal the problems of this monetary term that those concerned with cultural criticism in general, or criticism of Al-Ghathami's production in particular. They are problems that can be classified into three types. The first is the paradox / contradiction, which is when there are two texts of Al- Ghathami in one subject, and they are opposite or contradictory, i.e. transcribing one another. The second problem is the problem of play, and it is the text that carries another reading other than the reading of food, which the recipient can memorize through the tools of cultural criticism and its mechanisms themselves. The third type is the problem of sin, which is the text that carries a critical connotation that contradicts and abolishes the cultural criticism mechanism.

Key words: cultural criticism, hidden style, femininity, virility, and problems.

[*] **Professor, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen university Lattakia, Syria. (FakherMayya@hotmail.com).**
[**] **Dr, Teacher at the Faculty of Education, Tishreen University, Lattakia, Syria.(Wael-Dayob77@hotmail.com).**
[***] **Doctoral student, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.(hytham-alsadian@hotmail.com).**

الأنوثة والفحولة عند الغذامي
قراءة في إشكالات النقد الثقافي

الدكتور فاخر ميّا*
الدكتور وائل ديوب**
هيثم الصَّديان***

(تاريخ الإيداع 4 / 5 / 2020. قبل للنشر في 6 / 9 / 2020)

□ ملخّص □

يقوم هذا البحث على تفكيك آلية مصطلح النسق المضمر، وذلك في تطبيقاته التحليلية على نسقي (الفحولة/ الأنوثة) في النقد الثقافي عند الغذامي؛ بغية الكشف عن إشكالات هذا المصطلح النقدية التي لم يتفطّن لها المهتمون بالنقد الثقافي عامة، أو بنقد نتاج الغذامي خاصة. وهي إشكالات يمكن تصنيفها في ثلاثة أنواع. الأول إشكال التضاد/التناقض، وهو حينما يكون هناك نصّان للغذامي في موضوع واحد، ويكونان متضادين أو متناقضين، أي ينسخ أحدهما الآخر. وأمّا الإشكال الثاني فهو إشكال اللعب، وهو النص الذي يحمل قراءة أخرى تغاير قراءة الغذامي، يمكن للمتلقي أن يستظهرها بأدوات النقد الثقافي وآلياته ذاتها. والنوع الثالث إشكال الخطيئة، وهو النص الذي يحمل دلالة نقدية تخالف آلية النقد الثقافي وتلغيه.

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي، النسق المضمر، الأنوثة، الفحولة، إشكالات.

* أستاذ ، قسم اللغة العربيَّة، كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة، جامعة تشرين، اللاذقيَّة، سورية.(FakherMayya@hotmail.com)
**مدرس ، كلية التربية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.(Wael-Dayob77@hotmail.com)
*** طالب دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة تشرين اللاذقية، سورية.(hytham-alsadian@hotmail.com).

مقدمة:

النقد الثقافي واحد من الاتّجاهات النقدية الجديدة، المنتمية إلى تيار ما بعد الحداثة ومناهج ما بعد البنيوية. ويُعد الغذامي رائد هذا النقد على مستوى التأسيس المصطلحي له، على الساحة النقدية العربية. وهو يزعم أنه صاحب الأسبقية في تبنّي هذا النقد عربياً، رافضاً أن يكون ثمّة نقد ثقافي عربي قبل كتاباته، مستنداً إلى تفريقه المنهجي بين ممارستين مختلفتين(نقد الثقافة)، و(النقد الثقافي)، وأنّ كل ما سبقه يدخل ضمن نقد الثقافة لا النقد الثقافي[1]. ولقد قدّم الغذامي مفهوم النقد الثقافي سنة (2000م) في كتابه المعنون بـ:(النقد الثقافي– قراءة في الأنساق الثقافية العربية)، قدّمه ليكون بديلاً من النقد الأدبي الذي انتهت وظيفته وبطلت صلاحيته؛ لأنّ هذا الأخير – بحسب الغذامي– لم يعد مفيداً في دراسة النص الأدبي وتقويمه، وأنّ ثمة أنساقاً ثقافية متنوعة ومتباينة داخل النص الأدبي، ظلت هذه الأنساق تتغلغل في الذهنية العربية(حتى في الأنساق العالمية، بحسب النص والمتلقي، لغة ومكاناً). حتى صار كل منها نسقاً ذهنياً "متشعرناً" يسيطر على لا وعي المتلقي، ويحرك أفعاله، ويتحكم في استجاباته الفكرية والسلوكية؛ فتحولت عبر تراكمها الزمني إلى أنساق اجتماعية مهيمنة. وهذه الأنساق قد غفل عنها النقد الأدبي أو عجز عن كشفها وتبيان خطورتها. ومن أخطر هذه الأنساق نسق الفحولة وتعامله مع نسق الأنوثة. هذا النسق الطاغي المتشعرن أخذ من جهد الغذامي كثيراً من التحليل والتفكيك والتقويم، وصارت معظم نتاجاته تدور حول هذا النسق الفحولي المسيطر على الشخصية العربية. وهو مفهوم استعلائي مفتوح على دلالات اجتماعية وسياسية وفكرية كثيرة؛ فهناك الفحل الاجتماعي، والفحل السياسي، والفحل المثقف، والفحل القبلي، وغيرها. وما يهمنا في هذا البحث هو (الفحل الجنوسي) المواجه للأنوثة[2]؛ أي الفحل الرجل سواء أكان زوجاً، أم كاتباً، أم شاعراً أم غير ذلك، في مواجهة نصيّة أو معيشية مع المرأة/الأنثى، زوجة، أو كاتبة، أو شاعرة، أو غير ذلك.

الدراسات السابقة:

لقد اهتمّ كثير من الدارسين بما قدّمه الغذامي في هذا المجال، وتناولوه من جوانب متعدّدة، ومقاربات مختلفة. ومن تلك الدراسات:(عبدالله الغذامي في مسعاه نحو تأسيس قيمة إبداعية للأنوثة) لفاطمة المحسن، و(النقد الثقافي والنسق الثقافي: قراءة نقدية في تأنيث القصيدة والقارئ المختلف) لسعيد يقطين، و(قراءة الأنوثة في الأيقونة الأدونيسية) لحسين السماهيجي، و(فتنة الأنثوي: المرأة بوصفها نسقاً ثقافياً) لضياء الكعبي، و(استجابة الشعر للنسق– قراءة في مشروع الغذامي بشأن النقد الثقافي) لزهرة المذبوح.

---

[1]) ينظر: السماهيجي، حسين؛ وآخرون. *عبدالله الغذامي والممارسة النقدية والثقافية*. ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003، ص12–13.

[2]) الفحولة لغة: جمع فحل، وهي الذكر من كلّ شيء(ابن منظور. *لسان العرب*. تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د. ت، مادة [فحل]). والفحولة القوة، وأكثر ما تشير إلى فحل الإبل(ينظر: ابن فارس، أحمد. *مقاييس اللغة*. تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر، دمشق، د. ت، مادة[فحل]) ومفهوم الفحولة عند العرب مفهوم نقدي أدبيّ، يدل على الجودة والتقدّم، وبه لقّب الشاعر الجاهلي(علقمة الفحل). والأنوثة خلاف الفحولة. ويستخدم المفهومان اصطلاحياً للإشارة إلى العلاقة الاجتماعية والثقافية والسياسية والسلطوية بين الرجل والمرأة. والأنوثة في الدراسات الاجتماعية والثقافية تتقاطع مع الدراسات النسوية التي تهتم بقضايا المرأة ومشكلاتها.

ولقد ارتكزت هذه الدراسات على القضايا المضمونيّة في نقد الغذامي، فناقشت المحتوى النصّي وما يتفرّع عنها من دلالات فكريّة وأدبيّة، وأغفلت الجانب البنيويّ داخل نصّه النقديّ؛ ولهذا يأتي هذا البحث ليسلّط الضوء على نظام العلاقات الذي يقوم عليه تحليله ثنائيّة: الفحولة والأنوثة، وما يتبع ذلك من بناء نقديّ ثقافي.

أهميّة البحث وأهدافه:

ولقد أفرد الغذامي لهذه العلاقة، بين الفحولة والأنوثة، ثلاثة كتب في هذا الموضوع. وعلى الرغم من الأهمية الفكرية والثقافية التي يقترحها الغذامي في معالجة الموضوع، فإنّه كان يقع في إشكالات منهجية نقدية لا تقل أهمية عن مضمون المعالجة وجدتها؛ وهذا ما سيحاول البحث تبيانه وتفكيك آليّته.

منهج البحث: يعتمد هذا البحث على استراتيجية القراءة التفكيكية(deconstruction)؛لأنها تنسجم مع خطاب الغذامي وتستجيب لدلالاته النصية. وسيرتكز البحث على الكتب الثلاثة التي تناولتْ ثنائية الفحولة/ الأنوثة؛ وهي:(المرأة واللغة)، و(ثقافة الوهم)، و(الجنوسة النسقية).

المركزية الذكورية ومظلومية المرأة:

ينطلق الغذامي من فكرة أساسية يبني عليها دراساته في هذا الموضوع. وهي تهميش أنوثة المرأة بوصفها كائناً بيولوجياً (biological) واجتماعياً وثقافياً، لمصلحة فحولة الرجل وفرض سيطرة هذه الفحولة على معظم مساحات الوجود الأنثوي في المجالات المذكورة؛ إذ يُنظر إلى هذه الأنوثة على أنها جسد شكلي غرائزي، تنحصر مهمته في الجنس وإمتاع الفحولة. وكذلك إعطاء دور الأنوثة مرتبة دونية لا ترتقي إلى مستوى الذكورة. وإذا ما حاول هذا الجنس الأنثوي دخول عالم الثقافة والأدب، فإنه ينبغي له التزام قوانين الإبداع التي سنّها الجنس الفحولي على مقاسه ووفق رؤيته، أي إن المرأة تعيش كما يريد لها الرجل أن تعيش لا كما تريد هي. وعليه؛ فإن الجنس المؤنّث مستلب من الجنس المُذكّر، استلاباً طال واستحكم حتى صارت المرأة ذاتها تسهم فيه وتقوّيه. وبدلاً من سعيها لإعادة الاعتبار إلى أنوثتها راحت تعمل على تفحيل هذه الأنوثة وتشويهها. ولذلك فإن أغلب أنشطة المرأة في الميادين التي دخلتها هي أنشطة نسائية وليست أنثوية، بمعنى أنها ممارسات ناتجة من المرأة، ولكنها ذكورية أكثر منها أنثوية.

ويُرجع الغذامي سبب هذا التهميش إلى المركزية الذكورية واستبدادها بالثقافة عامة، فأمست هذه الثقافة تغذّي النسق الفحولي في اللا وعي الجمعي البشري، وبات كأنه قانون طبيعي للحياة، بيد أنّه في حقيقته صناعة ثقافية واهمة في جلّ تصميماتها، وواهيه في معظم أساساتها. والغذامي إن أرجع السبب إلى المركزية الذكورية، فهو لم يبيّن أسباب هذه المركزية وعوامل توطيدها، بل اكتفى بسبب وحيد لم يتجاوزه، وهو الأسبقية الذكورية في استعمار التكوينات الثقافية ومجالاتها المختلفة؛ الأمر الذي جعل هذه الثقافة تتكلم لغة الرجل، وتعيش على منطقه[1].

ولقد ارتكزت أعمال الغذامي الثلاثة على ثلاثة محاور أساسية: على اللغة معجماً وأسلوباً، وعلى الحكاية الشفاهية قبل أن تُكتب، وعلى التدوين والكتابة.

[1] ينظر: الغذامي، عبدالله. *المرأة واللغة*. ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2006م، الفصل الأول ص15 – 56.

في اللغة[1]:

أقام الغذامي نقده، هنا، على أن اللغة تعتمد صيغة التذكير أصلاً في تكوينها، وأما التأنيث فهو تفريع من هذا الأصل واشتقاق منه. وقد استند الغذامي إلى بعض المقولات اللغوية والأدبية، كقول ابن جني:" تذكير المؤنث واسع جداً لأنه ردّ إلى الأصل"[2]، وقول عبدالحميد الكاتب:" خير الكلام ما كان لفظه فحلاً ومعناه بكراً"[3]. وكذلك إلى بعض القواعد النحوية والشواهد المعجمية، كقاعدتي جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم، وسيمياء مورفولوجيا كلمة المرأة في اللغة الإنجليزية(wo-man) [4]. أضف إلى ما تقدّم مجموعة من الآراء النقدية المهتمّة بهذا الموضوع؛ كنوال السعداوي ومي زيادة وبعض الأصوات الغربية المتحمسة لقضايا المرأة. وكذلك يستشهد ببعض العبارات والأقوال الموجودة في كتب التراث التي تحطّ من قيمة المرأة وحديثها، وتسفّه منطقها ورؤيتها للحياة[5].

ومن القضايا اللغوية التي ذكرها الغذامي فحولة الأسلوب اللغوي حتى في أسلوب المرأة ولغتها حينما تكتب في قضايا هي من خواصّ جنسها وهموم حياتها[6]، مستنداً إلى غَلَبة صيغ التذكير على صيغ التأنيث في الضمائر والأفعال والمصادر، أي إن التأنيث قاصر عن فرض هُويته على أنوثته ويحتاج إلى التذكير أسلوباً تعبيرياً يفصح من خلاله عن وجوده وعن قضايا هذه الأنوثة.

في الحكاية الشفهية[7]:

ينطلق الغذامي، هنا، من عبارة (أن الحكي أنثى والكتابة رجل)؛ بمعنى أن المرأة كانت تعبر عن ذاتها وعقليتها بالأحاديث والحكايات الشفهية؛ فنسجتها على منوالها ووفق ما تمليه عليها أنوثتها. لكن الرجل هو من تولّى تدوين هذه الحكايات، لأن الكتابة كانت حكراً عليه من دون الجنس الأنثوي؛ ولذلك فإن الرجل يعيد صياغة أجزاء كثيرة منها حتى توافق منطقه الفحولي وتنسجم مع تصوراته الذكورية. واتخذ الغذامي من حكايا(ألف ليلة وليلة) أنموذجاً حكائياً لهذا المحور، وذهب إلى أن كل الأحداث السردية التي تظهر فيها الأنوثة مخلوقاً غرائزياً ومنحرفاً سلوكياً، أو مختلاً عقلياً، أو زائغاً أخلاقياً، فإنه لا بد أن يد المدون الرجل هي من عبثت بالأحداث وحرّفت الحكاية[8].

في التدوين[9]:

يرى الغذامي أن هذه المرحلة كانت على يد الرجل، وفيها تمت سيطرة النسق الفحولي على نظام الكتابة وأسلوب التدوين. وبوساطة هذه الفحولة تمّ تصميم قوالب الأنوثة وسنّ قوانينها، إذ جرى تزوير صورة المرأة وإفراغها من محتواها

---

[1]) ينظر: *المصدر نفسه*. ص7 – 55.

[2]) ينظر: *المصدر نفسه*. ص16. كذلك: ابن جنّيّ، أبو الفتح عثمان. *الخصائص*. تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، د. ت، ج2/ ص415.

[3]) ينظر: *المصدر نفسه*. ص7.

[4]) ينظر: الغذامي، عبدالله. *المرأة واللغة*. ص22، 25 –26.

[5]) ينظر: الغذامي، عبدالله. *المصدر نفسه*. ص39 – 42.

[6]) ينظر: الغذامي، عبدالله. *المصدر نفسه*. ص20 وبعد.

[7]) ينظر: الغذامي، عبدالله. *المصدر نفسه*. ص57 – 126. كذلك: الغذامي، عبدالله. *ثقافة الوهم – مقاربات حول المرأة والجسد واللغة*. ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998م. أيضاً: الغذامي، عبدالله. *الجنوسة النسقية*. المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2017م، ص7 – 36.

[8]) ينظر: الغذامي، عبدالله. *المصدر نفسه*. ص68، 80 – 81.

[9]) ينظر: الغذامي، عبدالله. *المصدر نفسه*. ص157 – 235. كذلك: *ثقافة الوهم*. أيضاً: الجنوسة النسقية. ص7 –36.

الذي وهبته لها الطبيعة؛ ليجري استبدال محتوى ثقافيّ من صناعة الرجل وتعويضه به، ومن منطق استعلائي فحولي. وعندما بدأت المرأة بتدوين أنوثتها صارت تحاكي النمط الفحولي، وتخضع لمنطقه، وتكتب بلغته وعلى هواه. لكن الغذامي يذكر أن بعضهنّ نجحن في كسر هذا القالب المُعدّ لهنّ سلفاً، وتمكّنّ من تشييد نسق أنثوي متمرد على النسق الفحولي المهيمن.

هذه هي المحاور الأساسية التي درسها الغذامي، وحلّلها وفكّك أنساقها بوساطة نقده الثقافي وما يملكه من أدوات منهجية وآليات إجرائية يعتمد عليها في قراءة النصوص التي استحضرها واتّكأ عليها. وهي نصوص منتقاه بعناية وخبرة نقدية متمرسة. لكنه غالباً ما يعزلها عن سياقها النصّي وشرطها التاريخي، ويلغي فيها وحدتها العضوية التي تربطها بموضوعاتها ومناسباتها وملابساتها الثقافية. كل ذلك من أجل أن تكون استجابة تلك النصوص أيسر، ويسهل عليه استحضار النسق المضمر داخل كل نصّ من نصوصه.

إشكالات النسق المضمر:

النسق المضمر أحد آليات التفكيك التي استخدمها الغذامي في نقده الثقافي، وهي صيغة مطوّرة لقراءة النص وتطويره على طريقة التفكيكيين؛ إذ يبحث في النص عمّا لا يقوله صراحة، من المعاني التي تضمر دلالة فكرية، أو اجتماعية، تتسّرب إلى ذهن المتلقي من دون أن يتنبّه لها، حتى تتمكّن وتصير جزءاً من ثقافته وآليّة تفكيره. وهذه ما يسمّيها الغذامي بـ"**الدلالة النسقية**"، ويقول عنها إنها ليست من المعاني التي يقصدها صاحب النصّ، أو يريد التعبير عنها؛ لأنها ليست من صنعه ومقوله، وإنما هي صنع الثقافة ومقولها، تلك الثقافة المتحكّمة في صاحب هذا النص وفي كل كائن ثقافي ينتمي إليها؛ ولذلك فإن هذه الثقافة تتحرك في لا وعي هذا الكائن، وتمرِّر من تحت أقواله وكلامه أو نصّه المعلن دلالاتِها النسقية؛ وهنا يأتي دور **النقد الثقافي** ليكشف عن تلك الأنساق المضمرة، وما تحمله من دلالات مناقضة لِما يقوله النص ويعلنه[1].

ونحن، هنا، سنقرأ الأنساق المضمرة التي كشف الغذامي الغطاء عنها في تفكيكه نسق الفحولة المُعدية، ثم سنسّلط الضوء على ثلاثة أنواع من الإشكالات النقدية لآلية النسق المضمر الذي اتّكأ عليه النقد الثقافي كما قدّمه الغذامي.

إشكال التضاد/ التناقض:

هذا إشكال يتكّرر مرات متعددة في دراسات الغذامي التحليلية، وما يقوم عليها من تأسيس نقدي متضادّ أحياناً، ومتناقض أحياناً أخرى، أي ثمة أحياناً قراءتان متباينتان لنصّ واحد، وأحياناً يُقرأ النصّ نفسه قراءتين تنقض إحداهما الأخرى، من جهة التناقض بالمعنى المعروف عند المناطقة[2].

ومن هذا النوع حديثه عن جزيرة النساء التي رواها القزويني في كتابه(آثار البلاد وأخبار العباد)، وملخّصها أنّ ثمة جزيرة في بحر الصين كلها من النساء، لا رجل فيها، وأنهنّ يلقحن من الريح، ولا يلدن إلا إناثاً مثلهنّ. وقيل يلقحن من ثمر شجر محدّد معروف في جزيرتهن. لقد أورد الغذامي هذه الحكاية مرّتين، إحداهما في كتاب(اللغة والمرأة)، والثانية في كتابه(ثقافة الوهم)، وفيهما يقدّم قراءتين متناقضتين تنفي كل منهما الأخرى نفياً تكذيبياً بالمعنى المنطقي؛ أي لا

---

[1]) **للمزيد حول النسق المضمر ينظر: الغذامي، عبدالله. *النقد الثقافي – قراءة في الأنساق الثقافية العربية*. المركز الثقافي، بيروت، ط1، 2000م، الفصل الثاني.**

[2]) **التناقض في المنطق: أن تكون هناك قضيتان لا يمكن أن تصدقا معاً، كما لا يمكن أن تكذبا معاً. ينظر: يوسف، محمود. *المنطق الصوري– التصورات والتصديقات*. ط1، دار الحكمة، الدوحة، 1994م، ص117.**

يمكن أن تصدقا معاً، كما يقول المناطقة؛ ففي كتابه الثاني(ثقافة الوهم) يذهب الغذامي إلى أن هذه القصة من إنتاج الثقافة الفحولية، التي تجعل الأنوثة مجازاً لغوياً وخيالاً وهمياً غير واقعي، تحوطه الغرابة ويلفّه الغموض، ويفصله عن الواقع عالمه المجهول؛ إذ يقول عن القصة:" لقد أبعد الرجلُ نفسَه عن هذه الجزيرة لكي يحافظ على إقصاء الجسد المؤنث وإبعاده عن الواقع والمحسوس. ولهذا فإن التأنيث يحتل الجزيرة ويغلقها ويغلّفها لتظل (وهماً) بعيداً يدغدغ مشاعر الرجال وخيالهم ليتحقق للرجل غايته في التخييل والتوهيم وفي إقصاء الذات المؤنثة وتحويلها إلى جسد ناءٍ وإلى (أخرى) غير واقعية"[1]. على حين ذهب في كتابه(المرأة واللغة) إلى أن هذه القصة حكاية نسائية تنتصر فيها المرأة لجنسها المؤنث، وتبدع فيها لغتها الخاصّة وعالمها الأنثوي النقي من الجنس الفحولي المذكر. " هنا تقوم المرأة بنفي الرجل عن عالمها وإبعاده عن جزيرتها ومدينتها حيث تخلق عالمها الخاص ولغتها الخاصة (...) وتبتكر وسائلها الخاصة لتتخلص كلياً من الرجل"[2].

وعندما تتحدث القصة عن أن ملك الصين بعث بحّارة يأتون بخبرها؛ فبحثوا عنها ثلاث سنوات ولم يهتدوا إليها، عندها رأى الغذامي في (ثقافة الوهم) أن هذا إمعان من النسق الفحولي في إقصاء الأنوثة وتهميشها[3]. لكنه رأى غير ذلك في (اللغة والمرأة)؛ إذ قال:" عجز الرجال عن الوصول إلى هذه الجزيرة؛ لأن المرأة صنعت هذه الجزيرة لتكون ملاذاً لخيالها المضطهد، ولتكون لغة تبدع بها المرأة وتكتب نصها الأنثوي (...)، إنها كتابة، وإنها لغة، وإنها إبداع"[4].

هاتان قراءتان تفكيكيتان تنفي كل منهما الأخرى وتلغيها؛ إذ لا يمكن أن تكونا صحيحتين معاً، لكن يمكن أن تكونا خاطئتين معاً. وهذا أقرب إلى الصواب وأبعد عن التمحُّل التفكيكي المفرط في التأويل[5].

ومن مظاهر التضاد في نقد الغذامي أنه يفسّر ظاهرة واحدة تفسيرين مختلفين، بحسب مقتضيات سياقه النقدي لا سياق الظاهرة النصّي أو التاريخي. فحين تحدث عن الثقافة الفحولية التي تحصر المرأة في جسدها ومفاتنها، استحضر لها جملة شعرية مقتطعة من بيت شعري جاهلي، بوصفها شاهداً داعماً لسياقه وفكره النقديين:(مشي القطاة إلى الغدير)، ثم أراد أن يدعم هذا الشاهد بظاهرة كانت معتادة عند الصينيين، ليدلّل على عالمية النسق الفحولي، وأنه ليس مقصوراً على ثقافة محدّدة، وهي أنهم:" يثنون أقدام البنات في الصغر حتى تكبر بأقدام متثنّية وتظل تمشي **مشي القطاة إلى الغدير**: مشية فيها دلال وغنج، مشية مؤنثة"[6]. علماً أن الغذامي استحضر هذه الظاهرة الصينية في سياق آخر وتفسير مختلف فحواه :" أن الصينيين تعودوا تقييد أرجل بناتهم في صغرهن لكي تنثني أقدامهن فإذا كبرن تقيدت حركتهن وقلت سرعتهن فلا يكون في مقدورهن الفرار من وجه الرجل أو استخدام المكان بحرية تماثل حرية الرجل"[7].

---

[1]) **الغذامي، عبدالله. *ثقافة الوهم*. ص42.**

[2]) **الغذامي، عبدالله. *المرأة واللغة*. ص113.**

[3]) **ينظر: الغذامي، عبدالله. *المصدر السابق* ص41.**

[4]) **الغذامي، عبدالله. *المصدر السابق*. ص114.**

[5]) **حول ما يعرف بالتأويل اللانهائي للتفكيك(semiosis) ينظر: إيكو، إميرتو. *التأويل بين السيميائيات والتفكيكية*. ترجمة سعيد بنكراد، ط2، المركز الثقافي العربي، 2004م، ص51 – 82 ، 115 – 142.**

[6]) **الغذامي، عبدالله. *ثقافة الوهم*. ص43.**

[7]) **الغذامي، عبدالله. *المرأة واللغة*. ص43.**

وهناك حالات إشكالية قد يخفى تعارضها، ولا يستبين التضادّ فيها على النحو السابق المذكور في الأمثلة السالفة؛ وذلك حينما يكون النصّان المدروسان مختلفين، لكن الغذامي يعمد إلى موضوعة واحدة في ذينك النصين، فيقدّم لهما تفسيرين ثقافيين متعارضين. ومن ذلك بيتا جرير الشهيران[1]:

إنَّ العُيُونَ التي في طرْفِها حَوَرٌ قَتَلْنَنا ثُمَّ لَمْ يُحْيِيْنا قَتْلانا

يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتّى لا حَرَاكَ بهِ وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ الله أَرْكانا.

وفي النص الكنعاني على لسان (عناة) البتول:

أيعارضني الثور إيل

إذا سوف أطرحه أرضاً كالجمل

وسأحيل شعره الأشيب دماراً.

فقد أحال موضوعة صرع الرجال وقتلهم في شعر جرير إلى صنع الثقافة التي تعادي المرأة وجنسها الأنثوي[2]. أمّا في النصّ الكنعاني فإنه انتصار للأنوثة ولجنسها المهمّش[3]. على الرغم من اتفاق الدلالتين في نوع الغَلَبة وجهة الانتصار.

ولكنَّ من أغرب التناقضات وأشدها إشكالاً وغموضاً لجوء الغذامي إلى موضوع واحدة في نصّ واحد وتفسيره على نحو واحد، غير أنه يعطيه قيمتين ثقافيتين متباينتين. هذا ما فعله حين تعرّض للنصّ العذري وعالجه، مرة في كتابه (ثقافة الوهم)، ومرة أخرى في كتابه الآخر (الجنوسة النسقية)؛ إذ اعتمد على النصوص نفسها، وقدّم لها تفسيراً واحداً في الكتابين، غير أن الاختلاف كان في طابع القيمة الذي صيغ به كل تفسير على حدة...؟!. فهو في المرّة الأولى أعلى من شأن النصّ العذري، ورأى فيه طابع الإنسانية في قمّة إبداعها المروي؛ إذ رأى فيه نصّاً إنسانياً خالداً، يعلي من شأن الحب، ويساوي بين الجنسين مزيجا واحداً وكائنين متّحدين، جسداً وعقلاً وروحاً. وجعله النصّ الأدبي الذي نجح في كسر المركزية الذكورية، وتهشيم نسق الفحولة الطاغي. وردَّ إلى الأنوثة اعتبارها الوجودي والمعنوي. لقد رأى فيه حكاية إبداعية من أجمل الحكايات، وتمنى لو أنهم لم يتغوّلوا على هذه الحكاية ولم يقتلوها.

هذا هو الطابعُ الإنسانيُّ والقيمةُ الإيجابيةُ اللتان انطوى عليهما تفسير الغذامي وتحليله النصّ العذري، سواء أكان شعراً، أم نثراً يروي قصص الحب ومواجده[4]. لكنه عاد في كتابه الآخر (الجنوسة النسقية)، ليقدّم النصوص ذاتها مع التفسير ذاته ، إلا إنه جعلها تنطوي على جنوسة نسقية عنصرية ضد فعل الحب، وضد المرأة وأنوثتها. ورأى فيه خطاباً مجازياً يشوّه الحب ويبطل الفاعلية الإنسانية؛ فيلغي العقل ويلغي الحياة بعد أن قدّم لنا، هنا، النص العذري خطاباً في الجنون والموت والشذوذ الاجتماعي[5].

هكذا حلّل الغذامي النصّ العذري بوجهين متناقضين، مرّة رأى فيه وجهاً إنسانياً ذا قيمة إيجابية، ومرّة رأى فيه وجهاً عنصرياً مشوّهاً، ذا قيمة سلبية بالتأكيد...؟!. والغذامي يعتمد في ذلك على تقنية نقدية ترتكز على أسلوب تحليلي يقوم على إشارات دلالية تجعل التفسير المقدّم مفتوحاً على دلالات مطلقة قدر الإمكان وغير مقيدة بدلالة نقدية محدّدة؛ ما

---

[1] ***ديوان جرير***. **جمع كرم البستاني، دار بيروت، بيروت، 1986م، ص492.**

[2] **الغذامي، عبدالله. *المصدر السابق*. ص94 – 95.**

[3] **الغذامي، عبدالله. *المصدر نفسه*. ص108.**

[4] **ينظر: الغذامي، عبدالله. *ثقافة الوهم*. ص25 – 37، 160 – 169.**

[5] **الغذامي، عبدالله. *الجنوسة النسقية*. ص9 –36.**

يجعل التفسير متماسكاً في الحالين، ومنسجماً أمام القيمتين: الإيجابية والسلبية؛ الأمر الذي يغدو نقده معه محجوباً عن كشف التباين والتناقض الحاصلين فيه، إلا بالمراجعة وبالموازنة. علماً أن الدراستين تنتميان إلى النقد الثقافي الذي قدّمه ونظّر له، ولا سيما أن التناقض قائم في النسق المضمر للمادة المدروسة؛ أي في صلب النقد الثقافي.

وهنا لا بد من عرض بعض النماذج التطبيقية ذات الإشارات الدلالية المفتوحة، والتي استخدمها الغذامي في كلا الوجهين السابقين؛ فهو يقول:" ولذا فإن العاشق منهم إذا عشق عن صدق فقد أول ما يفقد (عقله) وطار منه صوابه، وصارت حياته من بعد ذلك حكاية تحكى وقصة تسرد"[1]. ويتحدث في الموضوع ذاته مرة ثانية، فيكرّر التفسير نفسه، قائلاً:" كل حالة عشق هي حالة مسخ، فالرجل إذا عشق فقد أول ما يفقد فحولته، ثم يفقد عقله ثم يفقد حياته. في وسط عمليات الفقد هذه يتحول إلى كائن شاذ اجتماعياً وكأنما هو منبوذ، ويتحول إلى حكاية للتندر والأنس، هذا ما تقوله القصائد والحكايات"[2]. ويقول:" في خطاب العشق يتحول الرجل من كائن واقعي إلى كائن مجازي، فهو ذليل ومجنون ومقتول، وتتحول مهمته في الوجود من رجل عمل ومسؤولية إلى ذات فاقدة لكل شروط البشر السوي"[3].

ويفسّر عدم زواج العاشقين في النصّ العذري بقوله:" ولذا لم يُقرأ في قصص الحب البدوية (العذرية) أن الحبيب تزوج حبيبته. لأن الزواج يعني وجود جسدين مختلفين. بينما تقوم فكرة العشق العذري على ذوبان أحد الجسدين وانتفائه مثل ذوبان الملح في الماء"[4]. ثم يكرّر التفسير ذاته، فيقول:" ومن أدق شروط هذا التكوين المجازي ألّا يتزوج العاشق معشوقته لأن هذا الرابط العشقي رابط نفْيٍ وإلغاء وليس رابط إثبات وتأكيد"[5].

وغموض هذا الإشكال وتناقضه لا يزول إلا حين نعلم أن الغذامي في كتابه الأول (ثقافة الوهم) كان يخلط بين النقدين الأدبي والثقافي. أمّا في كتابه الثاني (الجنوسة النسقية) فإنه اكتفى بالنقد الثقافي وحده. لكنّ مناط الإشكال يأتي من أن أحكام القيمة كانت في الكتابين تعود إلى آلية النقد الثقافي وإلى نسقه المضمر الذي حضر في الكتابين؛ ما يعني أن هذا النسق صورة مجازية من صور المزاجية التي تبعده عن المنهجية النقدية المنضبطة بضوابط الموضوعية العلمية الرصينة، وأنه ضرب من ضروب القدرة الفكرية المتحيّزة لا الموضوعيّة المنصفة، وهذا ما سيكون أوضح في النوع الإشكالي الآتي.

إشكال اللعب:

هنا يعمل الغذامي على تحليل نصٍّ ما وتفكيكه، ليستنبط منه رؤية فكرية محدّدة، لكن لهذه الرؤية وجهاً آخر لا يحتاج معه المتلقي إلى عناء حتى يراه؛ وذلك إمّا لأن النص يحتمل الوجهين على نحو متساوٍ، وإمّا لأن هذا الوجه أقرب إلى طبيعة النصّ، وإمّا لأن الغذامي نفسه قال بهذا الوجه في مكان آخر.

وهذا النوع كثيرة نماذجه عنده، ويكاد يكون الأغلب في تحليله ونقده الثقافي. وسبب ذلك يعود إلى طبيعة النسق المضمر الذي يحاول صاحب النقد الثقافي أن يبيّنه ويستنطق مواطنه. فهو نسق الاختلاف واللا معلن والضد، وهذه صفات من طبيعتها أنها تستحضر معها ضدّها واختلافها ومعلنها[6]. كما أن الرؤية التي يشيّدها الغذامي على أسس

---

[1]) **الغذامي، عبدالله. *ثقافة الوهم*. ص163.**

[2]) **الغذامي، عبدالله. *الجنوسة النسقية*. ص12.**

[3]) **الغذامي، عبدالله. *المصدر نفسه*. ص15.**

[4]) **الغذامي، عبدالله. *ثقافة الوهم*. ص163.**

[5]) **الغذامي، عبدالله. *الجنوسة النسقية*. ص12.**

[6]) **حول طبيعة النسق المضمر ينظر: الغذامي، عبدالله. *الجنوسة النسقية*. ص63، 146 – 147.**

الأنساق المضمرة هي رؤى اجتماعية أو نفسية، وهذه من طبيعتها، أيضاً، أنها متعدّدة الأوجه وتخضع للاعتبارات الزمانية والمكانية، يضاف إلى ذلك أن الغذامي ينطلق من الفكرة أولاً ثم يسوق لها الأمثلة ويستحضر لها الشواهد، ما يعني أن ناتج التفكيك يكون معياراً سابقاً على التفكيك وعلى النصّ والشواهد؛ هذا يجعل النقد الثقافي حاله حال علم الرياضيات أو النحو اللذين يجعلان الفرضية الرياضية أو القاعدة النحوية معياراً على شواهدهما وتطبيقاتها.

ومن الأمثلة على ذلك تفكيكه المقولة البلاغية لعبد الحميد الكاتب:(خير الكلام ما كان لفظه فحلاً ومعناه بكراً) [1]؛ إذ رأى في ذلك مقولة فحولية تستلب اللغة لمصلحة الرجل؛ إذ تجعل اللفظ من نصيبه لأنّ (فحلاً تعني ذكراً)، وتترك للمرأة المعنى، لأنّ (بكراً تعني أنثى)؛ وعليه، فإن الرجل استأثر بأهمّ ما في اللغة، لأن اللفظ يتحكّم في المعنى ويوجّهه.

هذا هو الوجه الذي رآه الغذامي وأخذ به من هذه المقولة. غير أن لهذه العبارة وجهاً آخر أقرب إلى سياقها البلاغي. فعبد الحميد الكاتب، هنا، يُعلي من شأن المعنى ويقدّمه؛ لأن البكر، هنا، لا تعني الأنثى وإنما تعني الجِدّة والأوليّة. ولا يوجد في المقولة قسمة جنوسية بين الذكر والأنثى؛ لأن الفحولة بالمعنى البلاغي لا تحيل على الذكورة، وإنما هي مصطلح نقدي بلاغي، استعاره النقاد الأوائل من بيئتهم ليكون مراده وتصوُّره أقرب إلى الفهم والإدراك. وهو مفهوم أقرب إلى الفروسية والفارس وما فيهما من رمزية السبق أكثر بكثير من الإحالة على الرمزية الذكورية[2]؛ ولذلك فإن نقيض (الفحولة) – بلاغياً أو نقدياً – هو (اللا فحولة)، وليس الأنوثة التي يتوهّمها الغذامي أو يتمحّلها[3]. يضاف إلى ذلك أن الغذامي، هنا، يخالف نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، النظرية التي صارت عماد الدراسات الأسلوبية العربية، والتي يشيد بفضلها الغذامي نفسه[4]؛ فالقول عنده: لفظ ومعنى لا يغلب أحدهما الآخر وبهما تتحقق قيمة النظم[5]. لكن الغذامي لا يجد مناصاً لرؤيته وإثبات الوجه الذي اختاره من لي عنق المقولة وتفسيرها تبعاً للوجه الذي أثبته أوّلاً، ثم وضع قول عبد الحميد الكاتب شاهداً عليه. علماً أن الغذامي يبني على هذه المقولة معظم أطروحات كتابه اللاحقة.

ومن شواهد اللعب عند الغذامي تحليله حكاية الجارية (تودّد) من حكايات ألف ليلة وليلة. حيث يبيّن كيف أنّها بوساطة ثقافتها العلمية تمكّنت من التغلّب على رجال الثقافة في مجلس الخليفة هارون الرشيد؛ ففكّ هذا الخليفة عوز سيدها، بل منحه مبلغاً يغنيه ويرضيه، تقديراً لمواهب جاريته (تودّد) [6]. لكن الغذامي يعدّ هذا قصوراً إبداعيّاً في الحكاية؛ لأن انتصار المرأة، هنا، انتصار (رمزي) وهمي، والرجل هو الكاسب الفعلي؛ فسيّد الجارية هو من اغتنى وهو

---

[1] الغذامي، عبدالله. *المرأة واللغة*. ص7 – 8، 33.

[2] الغذامي يستخدم مصطلح (فارس) وعبارة (فارس النص)، وهي تتردد في كتبه. ينظر – مثلا- : الخطيئة والتكفير. ص66.

[3] لقد ذكر الدكتور سعيد يقطين هذا الرأي: (نقيض الفحولة هو اللافحولة)؛ ينظر: السماعيل، د.عبد الرحمن. *الغذامي الناقد- قراءة في مشروع الغذامي النقدي*. ط1، مؤسسة اليمامة، الرياض، 1422هـ، ص184.

[4] من ذلك ينظر: الغذامي، عبدالله. *الخطيئة والتكفير- من البنيوية إلى التشريحية*. ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1985م، ص55، 321.

[5] كان الجرجاني دائماً يجعل قيمة النظم قائمة في التوازي والانسجام بين اللفظ والمعنى المؤدّيين إلى الغرض المراد والقصد المطلوب، رادّاً رادّاً على من قدّم المعنى(ويفهم من كلامه أنهم غالبية أكثرية حتى صار عرفاً وعادة[الدلائل ص252]، وهذا يناقض قول الغذامي عن فحولة اللفظ عند العرب) ينظر: الجرجاني، عبد القاهر. *دلائل الإعجاز*. تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، د. ت، ص63، 249- 267، 359 – 368.

[6] ينظر: الغذامي، عبدالله. *المرأة واللغة*. ص85 – 110.

من صار من المقربين إلى الخليفة، وظهرت فيه المرأة بوصفها سلعة تباع وتشترى[1]. بيد أن متلقي الحكاية – كما يرويها الغذامي في كتابه[2]– يستطيع أن يلاحظ أن القيمة الرمزية للحكاية أهم بكثير من المكسب الذي وهبته الحكاية للرجل بفضل المرأة، فهو – سيدها– متكسّب عبء على (الجارية) الفاعل الكلي في الحكاية. وهذه القيمة الرمزية بلغت من الوضوح إلى درجة أن عاد وأشاد بها، فهي تعزٌ لفحولة:" الرجولة المفلسة في مقابل الأنوثة المثمرة"[3].

والدكتور الغذامي لا يتردّد، في نموذج آخر، في وضع الإشارة اللغوية السيميائية (زوج)، الدالة على الأنثى بعد زواجها، ضمن الإشارة الفحولية التي تلغي استقلال المرأة وتجعلها جزءاً متمّماً الآخر الرجل[4]. وهو، هنا، لا ينظر إلى إلى الكلمة من زاوية ثنائية (التذكير/ التأنيث) ليقول إنها غلّبت التذكير على التأنيث، ولكن ينظر إليها، فقط، من خلال الدلالة اللغوية التي تشير إلى **الجزئية** واحتياجها إلى زوجها المتمّم، متغافلاً – وعن عمد– عن الغائب من الدلالة ذاتها؛ وهي أنها تعني التساوي والوحدة بين الزوجين/ الجنسين. وهذا ما يدركه المتلقي مباشرة من الإشارة الدالة على: أن المرأة جزء، والرجل جزء آخر، وشراكتهما الحياة في العلاقة الزوجية هي الجامع المتمّم بينهما. ولأن الغذامي أعدّ كتبه الثلاثة للحديث عن **مظلومية الأنوثة** وسلطة النسق الفحولي على حياتها؛ فإنه لا يرى في النص الفحولي أية إشارة دلالية على إنصاف الأنوثة، ويرى أن كل ما جاء من نتف هنا وهناك تعطي الأنوثة بعض حقّها، فإنما هي من هوامش النصّ التي خرجت على المتن الفحولي، في غفلة منه وعلى لا وعيه. وعندما يحلّل نصّاً فحولياً لا يجد عسراً في جعل إشاراته الدلالية كلّها ذات توجّه نسقي فحولي، حتى تلك التي تكسر هذا النقاء العنصري الفحولي تصير عند الغذامي إشارة من إشارات الفحولة؛ فمثلا حين أورد قول الفرزدق التشبيهي عن الشعر:" وإن الشعر كان جملاً بازلاً عظيماً فنُحر فجاء امرؤ القيس فأخذ رأسه، وعمرو بن كلثوم سنامه، وزهير كاهله، والأعشى والنابغة فخذيه، وطرفة ولبيد كركرته، ولم يبق إلا الذراع والبطن فتوزّعناها بيننا"[5]. فقد أطنب في تحليل القول وتفكيكه، ليكشف لنا كل الوجوه الفحولية وجوانبها المتعدّدة. وفي أثناء هذا التحليل يقول:" والعرب عادة ينحرون الجمل، ولكنهم لا ينحرون الناقة لأن الناقة ولود معطاء، وفيها خير وحليب وإنجاب"[6]. ويتساءل الغذامي: لماذا لم يشبهوا الشعر بالناقة الولود؟ وهو أفضل بحسب رأيه، لكنه يعقب معلّلاً: إن الثقافة الفحولية التي نطق الفرزدق بلسانها تأبى إلّا أن تفكر وفق النسق الفحولي المتعالي على الآخر[7]. والسؤال: **ماذا لو أن العرب كانوا ينحرون الناقة الأنثى، ويبقون على الجمل الذكر؟. ألا** يكون هذا من إملاءات النسق الفحولي القاتلِ الآخرَ الأنثى؟!.

---

[1]) **ينظر: الغذامي، عبدالله. *المصدر نفسه*. ص104 – 105.**

[2]) **ينظر: مجهول المؤلف. *ألف ليلة وليلة*. المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت، من الحكاية (424) إلى (451). وهي في إحالة الغذامي من الحكاية (370) إلى (453).**

[3]) **الغذامي، عبدالله. *المرأة واللغة*. ص108.**

[4]) **ينظر: *المصدر نفسه*. ص40 – 41.**

[5]) **القرشي، أبو زيد محمد بن الخطاب. *جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام*. تحقيق: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، د.ت، ص63. وكان الغذامي قد أحال على الصفحة (ص24) من *المصدر نفسه*.**

[6]) **الغذامي، عبدالله. *ثقافة الوهم*. ص156.**

[7]) **الغذامي، عبدالله. *ثقافة الوهم*. ص156.**

إشكال الخطيئة:

مفهوم الخطيئة، وما ينطوي عليه من تأسيس كهنوتي حتميٍّ/دوغمائي(dogmatic)، هو مفهوم محوري في نتاج الغذامي. وهو، قبل أن يكون في نتاج الغذامي أو نتاج التفكيك النصّي عنده، يمكن القول: إنه نتاج فكر الغذامي السابق على النص. وعليه؛ فإن نصّ الغذامي هو نتاج مفهوم الخطيئة، أو الغذامي الناقد نتاج فكر الخطيئة. وفكرة الخطيئة ليست سابقة على النصّ فقط، وإنما هي مفهوم ماضوي/ قبلي، أي قبل النص وجزء من غيابه، أمّا الحضور فهو لمفهوم التكفير الناسخِ الخطيئةَ. وهذان مفهومان لا تصالح بينهما ولا تجاور. ويمكن أن يكون ثمة خطيئة على المستوى العاطفي الإبداعي، أما النقد فلا مكان للخطيئة فيه، وإنما هو تفكيك تلك الخطيئة الإبداعية بغية كشفها والتكفير عنها.

والتطور عند الغذامي ليس تطوّراً تراكمياً – على الرغم من كل هذا الاحتفاء بالتراث – ولكنه تلاحق تصحيحي: تكون الخطوة الحالية تصحيحَ الخطوة السابقة. وهذا يعني أن العدّ التصاعدي عند الغذامي لا يقوم على خطوة أولى تتبعها خطوة ثانية، وإنما خطوة حالية ناسخة خطوةً سابقة. وهذا عدّ تراجعي – في حقيقته – لا تصاعدي. إلّا إن نصّ الغذامي لا يعدم بوادر الخطيئة النقدية غير المنسجمة مع منهج التكفير المسيطر في نصّه النقدي الحالي ذي القطيعة المعرفية مع نصّه السابق ذي التوجّه النقدي الأدبي؛ ففي كتابه (ثقافة الوهم) [1]، يفرد عنوانين هما:(المحبة سكون بلا اضطراب واضطراب بلا سكون)، و(الحب البدوي)، يوازن في العنوان الأول بين الحبّ المتسامي الروحي والحب الشبقي الجنسي، ويوازن في العنوان الثاني بين الحب الحضري والحبّ البدوي الذي هو امتداد لمقارنة العنوان الأول؛ إذ يجعل الحبّ البدوي هو الحبّ العفيف المتسامي على شبق الجسد وشهوانية الغرائز، لينتهي إلى نزعة مناطقية واضحة، من دون أن يصرّح بذلك، فيعلي من شأن طبيعة الحب الذي تحتضنه بيئته ذات المرجع البدوي، ثم يقع في تعميم مخلّ؛ فيعيب على الحب الحضري طبيعته الغرائزية التي تشوّه معنى الحبّ وحقيقته، وهذا هو حب الحواضر العربية: (دمشق، والقاهرة، وبغداد وغيرها).

وإذا كانت مفاضلته لا خلاف عليها في تفضيل الحبّ المتسامي على الحبّ الشبقي، فإن ما يستغربه المتلقي هو أنه اعتمد على منهجين مختلفين في الموازنة؛ فهو في تفكيكه نسق الفحولة وممارساته الشبقية في الحبّ يعتمد على أليّات النقد الثقافي، لكنّه في تحليله ظاهرة الحبّ البدوي يعتمد على النقد الأدبي، ويشيّد بوساطته الصرح الجمالي للحبّ البدوي المتسامي. ثم يستكمل هذا التحليل في عنوانين آخرين، هما:(الذين قتلوا الحكاية) و (الذين إذا أحبّوا ماتوا)، معتمداً على آليّات النقد الأدبي الخالص. كلّ ذلك – فقط – لأن الأفكار سابقة على النصّ؛ إذ تكون – تلك الأفكار – غايةً (تبرّر/ تسوّغ) الوسيلة المنهجية الموصلة إليها.

خاتمة– مأساة النسق المضمر [2]:

إن غياب الوحدة العضوية وانتزاع النصوص من سياقاتها هما اللذان جعلا النسق المضمر أداة طيّعة للأفكار المسبّقة، وهي ذاتها التي تجعل نقضه سهلاً لسهولة تشكيله وإعادة تفسيره على أنحاء متعدّدة ومتباينة. وهذه هي مأساة النسق المضمر في النقد الثقافي الذي قدّمه الغذامي وبنى عليه نصف نتاجه النقدي أو يزيد. ولهذا السبب تيسّر للغذامي لي عنق النصوص التي حلّلها ودرسها، وهو السبب نفسه الذي يسّر للآخرين نقدَ نقدِ الغذامي. وهذه الإشكالاتُ

[1]) ينظر: الغذامي، عبدالله. *ثقافة الوهم*. ص25 -37، 160 – 169.

[2]) النسق المضمر مصطلح استحدثة الغذامي، يعني به أن تكون هناك دلالة خفيّة في نصّ ما، هذه الدلالة تنقض الدلالة العلنيّة في النصّ. ولكنّ الغذامي لم يقدّم له تعريفاً واضحاً، واكتفى بشرح عام لآليّة عمله. للاطّلاع ينظر: النقد الثقافي. ص76– 83.

الثلاثة، التي حصر البحث تبيانها في موضوع: الأنوثة/ الفحولة، مادةُ كتبه الثلاثة المذكورة سابقاً. وهذا جزء من طبيعة عامّة للنسق المضمر في النقد الثقافي عند الغذامي.

النتائج:

يتبيّن ممّا سبق أنّ النّقد الثقافي عند الغذامي يقوم في كثير من تحليلاته على التّعميم في إطلاق الأحكام ورسم التّصوّرات. إضافة إلى ذلك فإنّ أحكامه في الأغلب تكون أحكام قيمة، وهذا كثيراً ما يُدخله في إشكالات التّحيّز، ويبعده عن الموضوعيّة العلميّة. كذلك فإن الغذّامي يلجأ في نقده إلى الانتقائيّة في النّصوص؛ وذلك لتكون شواهد مناسبة للأفكار التي يبني عليها تحليله؛ أي إن الفكرة في النقد الثقافي لدى الغذّامي تأتي سابقة على التحليل، وهذا يجعل النقد الثقافي في نتاجه أقرب إلى الأيديولوجيا(Ideology).

لكنّ هذه المآخذ لا تقلّل من قيمة نتاج الغذّامي في هذا المجال، وخاصّة ما يتعلّق منها بقضايا المرأة ومفهوم الأنوثة؛ إذ استطاع الغذّامي تسليط الضوء على كثير من الجوانب المهمّة التي تؤرّق المرأة، وتعيق حركتها في المجتمع. وقد حاول تعرية مفهوم الفحولة في أغلب هذه المواطن التي يقف فيها عائقاً في وجه الأنوثة، وسجناً يحتكر انطلاقتها ويحرمها حرّيتها.

المصادر:

الغذامي، عبدالله. *ثقافة الوهم – مقاربات حول المرأة والجسد واللغة*. ط1، *المركز الثقافي العربي*، بيروت، 1998م.

الغذامي، عبدالله. *الجنوسة النسقية*. ط1، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 2017م.

الغذامي، عبدالله. *المرأة واللغة*. ط3، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2006م.

المراجع:

1) ابن جنّيّ، أبو الفتح عثمان. *الخصائص*. تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت، د. ت.

2) ابن فارس، أحمد. *مقاييس اللغة*. تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر، دمشق، د. ت.

3) ابن منظور. *لسان العرب*. تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

4) إيكو، إميرتو. *التأويل بين السيميائيات والتفكيكية*. ترجمة سعيد بنكراد، ط2، المركز الثقافي العربي، 2004م.

5) الجرجاني، عبد القاهر. *دلائل الإعجاز*. تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ت.

6) جرير ابن عطية. *الديوان* . جمع كرم البستاني، دار بيروت، بيروت، 1986م.

7) السماعيل، د.عبد الرحمن. *الغذامي الناقد– قراءة في مشروع الغذامي النقدي*. ط1، مؤسسة اليمامة، الرياض، 1422هـ.

8) السماهيجي، حسين، وآخرون. *عبدالله الغذامي والممارسة النقدية والثقافية*. ط3، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003م.

9) الغذامي، عبدالله. *الخطيئة والتكفير– من البنيوية إلى التشريحية*. ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1985م.

10) الغذامي، عبدالله. *النقد الثقافي – قراءة في الأنساق الثقافية العربية*. ط1، المركز الثقافي، بيروت، 2000م.

11) القرشي، أبو زيد محمد بن الخطاب. *جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام*. تحقيق: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، د.ت.

12) مجهول المؤلف. *ألف ليلة وليلة*. المكتبة الثقافية، بيروت، د.ت.

13) محمود، يوسف. *المنطق الصوري– التصورات والتصديقات*. ط1، دار الحكمة، الدوحة، 1994م.

Sources:

1- AL-GHATHAMI, A. *Culture of Illusion - Approaches to Women, Body, and Language,* 1st edition, The Arab Cultural Center, Beirut, 1998.

2- AL-GHATHAMI, A. System gender, 1st edition, Arab Cultural Center, Beirut, 2017.

3- AL-GHATHAMI, A. *Women and Language*.3rd The Arab Cultural Center, Beirut, 3rd edition, 2006.

References:

1- AL-GARGANI, A. *Signs of miracle*. Realization: Mahmoud Shaker, Al-Khanji Library, Cairo, Without date.

2- Al-GHATHAMI, A. *Cultural Criticism - Reading in the Arab cultural systems*, 1st edition, the Cultural Center, Beirut, 2000.

3- AL-GHATHAMI, A. *Sin and Atonement - From Structuralism to Deconstruction*. 4th edition, The Egyptian General Book Authority, Alexandria, 1985.

4- AL-KWRASHI, M. *The Arab Poetry Crowd before Islam and Islam.* Realization:Mohammad Ali AL-Bijawi , Nahdat Masser, Cairo.

5- ECO, U. *Interpretation between semiotics and deconstruction.* translated by Saeed Benkrad, , 2nd edition, Arab Cultural Center, 2004

6-IBN-JINNIY, O. *Alkhasayis*. Scientific Library, Beirut.

7- IBN-FARES, A. *Language Metrics.* Realization: Abdulsalam Haroon, Dar Al-Feker, Damascus.

8- IBN-MANZOOR. *Arabes Tong.* Realization:a group of authors, Dar Al-maaref, Cairo.

9- ISMAIL, A. *Critical Al-Ghathami - Reading in the Algathami's Criticism Project.* , 1st edition, Al-Yamamah Foundation, Riyadh, 1422 AH.

10- JAREER. *The Collection of Poems*. Beirut House, Beirut, 1986.

11- SAMAHIGI, H; and others. *Abdullah Al-GhaThami, Critical and Cultural Practice.* , 3rd edition, The Arab Institute for Studies and Publishing, Beirut, 2003.

12- Unknown author. *One Thousand and One Nights.* Cultural Library, Beirut, 1985.

13- Mahmoud, Y. *Image Logic- Perception and Support.* 1st, Doha, 1994.